

وقد نظمت هرو المفومة طرق ترحيل النساء وكبار أسر و لا تطلع عبر بحيرة المنزلة الى دمياط و مطرية تحسبا لاي تصعيد في القصف معمر وكان تقديرها سليما ففي الساعة الاولى من يوم الاثنين ٥ نوفمبر استهدف مدافع الاسطول والضرب معمره انضرب على مواقع وخنادق حمير والمفومة ثم توقف مرة واحدة بعد ان بوحي ببداية انزال قوات العدو من اسطوره وفي الساعة التاسعة صباحا سقط العدو موجته الاولى من جنود المظلات بمنطقة مطار الجميل وتمكنت قوات المقاومة والجيش من ابادتها عن آخرها. وعلى بورفؤاد. وابلى الجميع بلاء حسنا في مقاومتها وابتد معظمها، إلا بعض هابطين منفردين تمكنوا من الهرب في المناطق القريبة. ولكن الشعب كان يتعقبهم ويجهز عليهم وحدثت خسائر كبيرة في جنود الجيش واستشهد كثير من افراد المقاومة.

في الوقت نفسه ضرب البطل حسن توفيق يس قائد القوات المصرية المدافعة، المثل الاعلى في الغداء، واستشهد في خندقه في منطقة الجبانة وكان القدوة في سلوكه وقوة عزمته لجنوده.

تعزير المقاومة ضد الغزو

بلغت انباء في مساء يوم ٦ نوفمبر، عن ان القيادة المحلية في بورسعيد قد إتفقت على هدنة مؤقتة، ابتداء من الساعة السابعة مساء، واهتزت الروح المعنوية على اثر ذلك، فانتهز العدو الفرصة وانزل قوات كبيرة بالمظلات في مدينة بورفؤاد، وتمكن من انزال بعض الدبابات، ويقول محمد رياض محافظ المدينة الذي كان يقود بورسعيد إداريا من غرفة عمليات خشبية بدائية غير محصنة انه عندما استقبل الجنرال ستوكيل قائد القوات البريطانية رفض تسليم المدينة، تنفيذ لتعليمات زكريا محيي الدين قبل العدوان لان اتصالاته السلوكية بالقاهرة كانت قد انقطعت مع بدء عمليات الانزال. وتم تعزير هذا القرار، بصدور أوامر صريحة من الرئيس عبد الناصر، بوجود الدفاع عن المدينة حتى آخر رجل. ونزلت عربية الاستعلامات في ساعة متأخرة من الليل، تدعو رجال المقاومة الشعبية والقوات المسلحة الى استمرار المعركة. كما أعلنت

الايدي إزاء إنهيار نفوذه في هذه المنطقة، وانه لن يتأخر عن القيام بعمليات عسكرية حمقاء، إذا لم يستطع تدبير مؤامرات داخلية للقضاء على الحكومات الوطنية. ولذلك فالاستعداد العسكري والسياسي لمصر شعبا وجيشا أصبح من أولى المهام الواقعة على عاتق مصر. ولقد شهدت مدينة بورسعيد، كما قال الدكتور محمد انيس بحق، بداية دخول الاستعمار في بلادنا عام ١٨٥٨ ممثلا في شركة قناة السويس، وشاهدت نهايته عام ١٩٥٦، ولقد حاول الاستعمار في هذا العام ان يستعيد قناة السويس بالغزو المسلح. فقد بدأت طائرات الغزو الضرب بشكل مركز في يوم ٣ نوفمبر على عدة نقاط في المدينة، هي: مطار الجميل، كوبري الجميل، ومحطة الرادار، والمدفعية المضادة والمدفعية الساحلية ببور فؤاد وخطوط السكك الحديدية، وطريق بورسعيد الاسماعيلية.

وقد ركزت طائرات العدو نيرانها على مدفعية السواحل، وقد اظهرت هذه المدفعية بطولة رائعة، فقد كان احد المدافع يقف خلف احد الكابيين، الموجودة على الشاطئ، ويقذف اسطول قوات الغزو بقذيفة او اثنتين، ثم يتراجع الى الخلف، ويضرب الكابينة التي تستره، ليوهم الطائرات انه قد اصيب، وبسرعة فائقة ينتقل المدفع الى كابينة اخرى ويكرر العملية نفسها بنجاح. وقد اضطر العدو الى استخدام عدد ضخم من طائرات حلف الاطلنطي، قبل ان ينجح في إسكات المدفعية المصرية، ففي الساعة الخامسة من مساء ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦، اخذت مئات الطائرات تحلق في سماء بورسعيد، بعضها من قاذفات القنابل، والبعض الآخر من حاملات جنود المظلات، وكانت الطائرات تلقي بقنابل محدثة دخانا كثيفا كي تتمكن من انزال قوات المظلات تحت ستار هذا الدخان. وبدأت قيادات المقاومة الشعبية بالمدينة: مصطفى كمال الصياد وحسن عوض التنسيق مع ما تبقى من وحدات الجيش القليلة في المدينة للتعاون معها والاشتراك في حطة الدفاع بجمع طوائف الشعب. وكان قائد الكتيبة الرابعة مشاة العقيد حسن نوميو سر هو المسئول عن الدفاع على طول الشاطئ ووحداته منتشرة من محطة مطار الجميل الى الجبانة الى السلاج ال هوسري الرسوة بأعداد بسيطة من العصور.

تحدد موقف مصر في المقاومة، ورفض الاستسلام، وقال جمال عبد الناصر «صدرت الاوامر بتوزيع السلاح وعندنا منه الكثير وسنقاتل في معركة مريرة من قرية الى قرية». وكان تفكير عبد الناصر في الشعب هو القوة التي سيستند عليها لمواجهة الغزاة.

بقلم:
صلاح زكي احمد

وكان زكريا محيي الدين هو المسئول عن إعداد ترتيبات المقاومة السرية في اعقاب اعلان الرئيس عبد الناصر قراره بتأميم شركة قناة السويس وقد بدأ فعلا في إتخاذ الاجراءات الضرورية مؤكدا انه لم يكن هناك خطر على اشتراك اي قوة سياسية في هذه المعركة الوطنية، وانه لم تتخذ أية اجراءات امن إلا ضد بعض السياسيين القدامى الذين سبق ان اتخذوا مواقف معادية للثورة.

لقد اتخذت كافة ترتيبات المقاومة السرية، من إعداد عربات بارقام مدنية، وأوراق تحقيق شخصية مزيفة، واجهزة لطبع اي منشورات او مجلات او جوازات سفر، وتم تاجير بعض الشقق باسماء مستعارة، كما كلف بعض الافراد بتشكيل هيكل للتنظيم السري، واعدت اجهزة اتصال لاسلكي، ومخازن سرية للسلاح، ومعدات وادوات للتفجير.

وبدأت قيادات حركة المقاومة، في تجنيد افراد لجماعات المقاومة فورا، ومن نفس افراد المقاومة الشعبية الذين سبق تعاملهم ضد الجيش البريطاني قبل اتفاقية الجلاء ولكن بشكل سري، وكل قيادة مجهزة في منطقتها مخازن لتسويق الاسلحة والمتفجرات والمعدات التي ستستخدم في المقاومة، وفي حالة بدء العدوان كان من المفروض ان تتحول هذه المقاومة السرية الى مقاومة شعبية شاملة.

استراتيجية ثورية جديدة

وهكذا بدأت استراتيجية عسكرية فورية، منذ اعلان الرئيس عبد الناصر «إنضمام الجيش الى الشعب في المعركة المسلحة». وتسليح الشعب وتدريبه تدريبا كاملا على حرب العصابات والمقاومة السرية وقد انطلقت هذه الاستراتيجية من خلال معركة المواجهة التي بدأت مرحلة نوعية جديدة باعلان التأميم لقناة السويس، وادركت ان الاستعمار لن يسكت عن السياسة الاستقلالية لمصر، ولن يقف مكتوف

«الجبهة الوطنية المتحدة»

لم تتمكن قوات الغزو من اختراق أية ناحية من نواحي المدينة، ولم تستطع التوغل داخلها، ولذا فقد عملت رغم صدور قرار وقف إطلاق النار يوم الأربعاء ٧ نوفمبر على تضييق الخناق على المدينة بدباباتها وذلك استكمالاً لحصارها.

وتخلصنا من موقفها العسكري السيء. وكانت هذه القوات تطلق النيران على كل من يقترب منها واقتحمت الحي الشعبي حيث المقاومة الشعبية العنيفة ضد تقدمها وفي هذه الظروف القاسية، تكونت الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية ببورسعيد. وهي تضم أعضاء اللجنة العليا للمقاومة الشعبية وكافة الوطنيين الشرفاء من أفراد الشعب والجيش، وكافة النقابات العمالية، وكافة الطوائف والفئات. وكان هدفها الرئيسي هو التمهيد والتحضير للعمليات العسكرية المنظمة، التي قام بها رجال فرق الصاعقة، ثم تعبئة الشعب تعبئة سياسية ضد المؤامرات الاستعمارية.

وحيث اكتمل تنظيم المقاومة تكون إعلام شعبي داخل بورسعيد تحت إشراف محمد أبو نار الذي باشر إصدار نشرات بعد كل عملية من عمليات المقاومة أو عمليات التمرين بالأعداد ليطلع شعب بورسعيد أولاً بأول على تفصيلات معارك رجال المقاومة، وقد استطاعت مجموعات من الصحفيين الوطنيين التسلل إلى داخل بورسعيد بقيادة محسن لطفى، وتمكنوا من إصدار جريدة «المقاومة الشعبية»، وجريدة «الانتصار»، من داخل بورسعيد، واستدانت لجنة الإعلام في كتابة المنشورات سحط اليد، والصاقها على الجدران ونوزيع بعضها على الأهالي. وقد اشترك الأطفال في عمليات توزيع المنشورات والصاق صور الرئيس جمال عبد الناصر على عربات قوات الاحتلال، والكتابة على أرص الشوارع باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وكان بعض هذه المنشورات لا يزيد على عبارة واحدة: «موتوا إلى بلادكم... إن الشركات الاحتكارية هي التي دفعت بكم إلى مرصاء... تذكروا بورسعيد... وأمهاتكم ورواحكم وأولادكم».

وسرع صدر قرار الأمم المتحدة بسحب النار، فقد توقعت قيادة الجبهة وحدة للمقاومة الشعبية، أن قوات مصر سوف تتوجه إلى الاسماعيلية لعزل مصر نهائياً عن باقي أجزاء الوطن، وقد اتصل كمال الدين رفعت

خبر الإنذار السوفييتي لكل من إنجلترا وفرنسا، مما ساعد على رفع الروح المعنوية. وكان أن زحف رجال المقاومة الشعبية والقوات المسلحة في اندماج بديع إلى الشاطئ، لسحق أية قوة تحاول الدخول إلى المدينة، فجن جنون العدو وانطلق يضرب المواطنين في الشوارع، ويلقي القنابل الحارقة على المظاهرات التي إنطلقت في المدينة. ويقول عبد

اللطيف البغدادي في مذكراته عن هذا اليوم المجيد في تاريخ الشعب المصري، جاء يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر ١٩٥٦ ومدينة بورسعيد مازالت مستمرة في المقاومة وبشكل يدعو إلى الفخر. ولكن الاستطال البحري للعدو كان قد بدأ منذ الصباح الباكر يطلق نيران مدفعيته الثقيلة على منطقة البلاح بالمدينة تمهيداً لانزال جنوده بتلك المنطقة وكانت طائراته في نفس الوقت تقوم أيضاً بضرب المدينة بشدة، ولكن شعب بورسعيد وكذا أفراد القوات المسلحة الموجودة بها والأفراد البوليس المدني ظلوا مستمرين في المقاومة وببساطة رغم عدم توافر الإمكانيات لهم. وقد تمكن العدو في النهاية من إنزال قواته إلى البر. ولكن لم تتمكن تلك القوات التي أنزلت على شاطئ بورسعيد من الاستيلاء على المدينة. واستمر القتال بعنف وبشدة حتى منتصف الليل. ولقد كانت هذه المعركة هي معركة الشرف بحق ولنا أن نفخر بها.

وكان «داج همرشولد، السكرتير العام للأمم المتحدة قد أعلن في مساء يوم ٦ نوفمبر «أن بريطانيا وفرنسا قد وافقتا على وقف القتال في مصر، وذلك ابتداء من منتصف ليل يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر ١٩٥٦، وذلك بتوقيت جرينتش، أي الثانية صباحاً من يوم الأربعاء ٧ نوفمبر بتوقيت القاهرة، وانهما - أي بريطانيا وفرنسا - قد امرتا قواتهما بتنفيذ ذلك». وفي هذه الأثناء كانت قد شكلت قيادة المقاومة داخل بورسعيد، لتعيد ترتيب الدفاع عن المدينة، وتنظيم المقاومة ضد قوات الاحتلال، وكان في مقدمة العسكريين كمال الدين رفعت، ومحمد فايق، وحمد عبيد، وعبد الفتاح أبو الفضل، ومحمد أبو نار وسعد عفره، ومنير موافي، وصلاح زعزوع، ومن المدنيين عبد المنعم شتلا وأحمد الرفاعي ويوسف إدريس والفنان حسن فؤاد والكاتب أحمد عباس صالح والفنان عبد المنعم القصاص والصحفية أمينة شفيق وغيرهم.

وقال الجنرال كيتلي «قاتلنا ضد شعب جهزت قواته المسلحة بأحدث الاسلحة والطائرات واستمات افراده في الدفاع عن بورسعيد بإصرار وعناد وحكمة، وقد استطاعت الجبهة المتحدة في بورسعيد، والاعمال البطولية التي استطاعت تحقيقها، انها الشكل الرئيسي الناجح لجمع صفوف الشعب بكافة فئاته، جنباً الى جنب مع السلطة الوطنية، وانها قيادة نابعة من الشعب متعاونة تعاوناً وثيقاً معها. ويستجيب الشعب لنداءاتها، وتستطيع ان تنظم صفوف الشعب، وان ترفع وعيه السياسي. ومن ثم تستطيع ان تحقق تنظيم المقاومة ضد الاستعمار من جانب، وضد المؤامرات الداخلية من جانب آخر.

مدرس عبد الناصر واقتراح نسف سمر الفنال والمعاهدة المتوجهين الى سمعية وتمت الموافقة على ذلك، سمر مدنيا على نقطة دفاعية بمثابة صو ارجاجة، يصفها عبد الفتاح ابو عسار في مذكراته «بانها وسط الملاحات سمر بخوة جدا يصعب تقديم الدبابات

سيها، ما نسب الصريقان عندها، لتعطيل اي تقدم للجيش البريطاني والفرنسي في اتجاه الاسماعيلية. ثم التقدم في اتجاه بورسعيد لاستعادة موقع جسر الحرس، ويستكمل عبد الفتاح ابو الفضل روايته لهذه العملية الهامة فيقول: «وابلغنا بعض المتطوعين بالاسماعيلية بان هناك عملية هامة ستقوم بها وتوافدت علينا اعداد كبيرة من المتطوعين المدربين وغيرهم وفي السابعة والنصف مساء تحركنا في طابور كبير من العربات لا تقل عن ٧٠ عربة مدنية محملة بعضها بالافراد في جميع الاعمار من سن ١٤ الى ٧٠ سنة ويحملون اسلحتهم ومواد النسف وادوات الحفر. وفي الساعات الاولى من صباح يوم ٧ نوفمبر وصلت إشارة من القوة المصرية التي احتلت جسر الحرس بقيادة كمال عزمي - من الحرس الوطني - تفيد ان هناك قوة معادية تتقدم. سمعوا اصواتها من موقع الكاب امامهم، وبعد ساعة اخرى حوالي الساعة الثانية اشتبكت داورية من العدو مع قوة دفاع جسر الحرس واستشهد اثنان من طلبة الجامعات محمد محروس، وبهجت قبودان واصيب طالب الطب محمد صادق سامي، واسر طالب الجامعة جواد حسني الذي استشهد بعد ذلك وهو في معسكر الاسرى في بورفؤاد وقتل ثلاثة من الاعداء.

وتوقف تماما تقدم العدو في اتجاه القنطرة والاسماعيلية، وبذلك نجحت خطة ايقاف التقدم. ولم تركز المقاومة الشعبية الى الهدوء، واستمر القتال بين الشعب وجنود الاحتلال تحت قيادة مجموعة من الضباط الوطنيين وعدد من الوطنيين تحت علم الجبهة الوطنية، واعترف الجنرال ستوكوبل يوم انسحابه من بورسعيد، ان المقاومة السلبية في المدينة نجحت تماما، ولم تقدم لنا اي مساعدة من اي جهة من الجهات.